إجتهاد فى تفسير آيتىْ (أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا)

و (أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ)

محمد سعد زغلول سالم

الجمعة ١٥ مايو ٢٠٢٠

تفسير إنقاص الأرض من أطرافها هو أحد مجالات تدبر ومحاولة فهم معانى الآيات التى تحتمل تفسيراتٍ وتأويلات متعددة. وتفسير هذه الآية يحتاج إلى إيرادها فى سياقها وهو (بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها أفهُم الغالبون) فى سورة الأنبياء وفى سياق آخر (أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب) فى سورة الرعد .

فقد جنح المفسرون القدامى إلى ربط معنى الإنقاص بوقائع إنتشار الإسلام فى أرجاء الأرض وما يترتب عليه من إنقاص عقائد الكفر والشرك وعبادة الأصنام والوثنية .. الخ الخ .. مستندين فى ذلك إلى ورود الإستفهام الإستنكارى فى الآية الأولى (أفهُم الغالبون) وورود ما يفيد أن هذه الظاهرة هى حكم من الله الذى لا تعقيب عليه وهو سريع الحساب.

غير أن الحقائق المعروفة عن علمى الفلك والجيولوجيا يمكنها أيضاً تقديم تفسيراتٍ علمية دقيقة لمعنى إنقاص الأرض من أطرافها تتفق مع الظواهر الثابتة فى نطاق هذين العلمَيْن. فالتبريد المستمر لنواة باطن الأرض الملتهب بسبب ما تفقده من حمم ساخنة من جراء إنفجار البراكين أولاً وصعود الأجزاء الأكثر سخونة منها بسبب تيارات الحمل فى باطنها وبالتالى الأقل كثافة إلى قرب سطح الأرض وفقدان جزء من طاقتها الحرارية ثانياً يتسبب عنه إنكماش تدريجى فى حجم الكرة الأرضية وهو قدر ضئيل يقدر بحوالى سنتيمتراً واحداً كل ألف عام ولكنه ظاهرة جيولوجية قائمة ومستمرة يمكنها أن تكون أحد التفسيرات العلمية لظاهرة إنقاص الأرض من أطرافها .

والحقيقة الثانية فى نطاق الحقائق الفلكية التى يمكنها تفسير هذه الظاهرة تتمثل فى التوازن الدقيق الذى يحكم نشوء وإستمرار الحياة على الأرض الذى يستلزم نطاق حرارى محدد لا يتعداه توفره أشعة الشمس للأرض التى تظل على بعد ثابت منها لا يزيد ولا ينقص وإلا إختل هذا النطاق الحرارى ولإستحالت الحياة على الأرض. وهذا التوازن الدقيق يستلزم ثبات المسافة بين الأرض والشمس بفعل الجاذبية الشمسية التى تضادها القوة الطاردة المركزية الناشئة من دوران الأرض حول الشمس. وحيث أن الشمس تفقد تقريباً ما يقارب ٥،٢ مليون طن من محتواها من الهيدروجين فى كل ثانية (نعم فى كل ثانية !!!) والذى يتحول إلى غاز الهليوم بفعل الإندماج النووى فى باطنها فيجب أن يتناقص حجم الكرة الأرضية بنفس القدر للحفاظ على ثبات بعدها عن الشمس وهذا ما يحدث بفعل عوامل عديدة منها أولاً سيل النيازك والكويكبات الحديدية التى تتساقط على سطحها بإنتظام والتى يقدر حجمها بحوالى ١١٠٠٠ طن سنوياً والتى تتسبب فى تبخير أجزاء من القشرة الأرضية وبالتالى نقص مساحتها وأحجامها وثانياً بسبب ما تفقده الأرض بإستمرار من غازات يحويها طبقات غلافها الجوى التى لا تتمكن جاذبيتها من الإحتفاظ بها والتى تزداد مع مرور الزمن بسبب الإحتباس الحرارى الطبيعى الناتج من ظواهر الحياة على سطحها وكذا الإحتباس الحرارى الزائد بسبب الأنشطة الصناعية والإشعاعية التى تنتج من حماقة البشر وسوء إستخدامهم لموارد البيئة على سطح الأرض. والله أعلم.